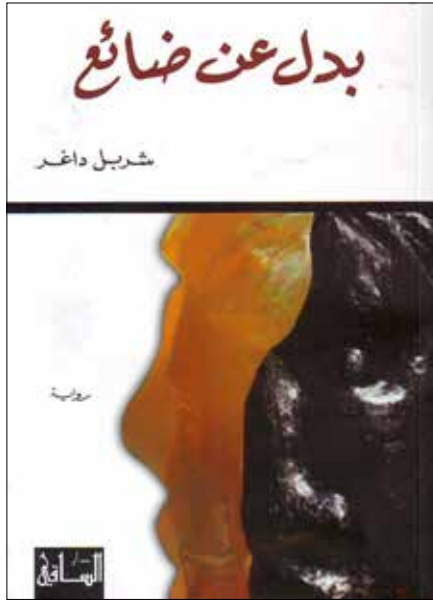


# شربل داغر: شهوة الحكيم

خليل صوبلح

يصعب تأطير رواية شربل داغر «بدل عن ضائع» (دار الساقى) في متن حكاياتي مركزي. هنا تتناسل الحكايات وتتشابك وتفترق، كما يحدث في «الف ليلة وليلة»، كما تتناسل الجغرافيات المرتحلة تبعاً لشهوة الحكيم الراوي الذي يعمل في إعداد ملفات متخصصة في دار للنشر، من دون أن يضع اسمه على ما يكتب، يبدو للوهلة الأولى ضحية انتهاك شخصي يعيشه كمهزوم، يعيش عزله في استديو صغير، انتقل إليه أخيراً، بعيداً من صخب الآخرين. في المقهى الذي يرتاده، سوف يتعرّف إلى «يسرا»، وسوف يكتشف بانها جارتة في الحي الجديد، وهي نفسها من كان يراقبها من نافذة غرفته في البناية المقابلة. وإذا كانت العلاقة مع مديرة دار النشر محكومة بالصرامة، فإن علاقته مع يسرا تتطور على عجل كحكاية حية يعيشها مباشرة، على عكس ما يكتبه في الملفات، تبعاً لما تطلبه منه مديرة الدار، لتذهب إلى أرشيف الآخرين الذين يوقعون أسماءهم على مواد لم يتعبوا بتدوينها الأول. ستذهب الحكاية إلى متن آخر، حين تودع يسرا «دفاثرها» السرية لدى الراوي، قبل انتحارها الذي يشهده مثل بث مباشر من نافذة غرفته. عند هذا المنعطف، تبدأ حياة حقيقية يعيشها الراوي بتدوين حياة يسرا بناءً على محتويات دفاثرها أولاً، والرحلة التي سنقوده إلى السنغال لاحقاً عن «هادي» ابن يسرا، تنفيذاً لوصيتها له بأن يجد ابنها الضائع. كان الحكاية لا تحدث إلا بتدوينها. هكذا يدخل عتبة أخرى في الحكيم، في تناوب الرواة، والانتقال من انتهاك اللغة إلى انتهاك الجسد، في أقنومين أساسيين، مروراً بوقائع الحرب الأهلية اللبنانية التي عاشها الراوي



## كشف الاقنعة مجاز آخر لتقشير اللغة من عطبها

القناع. كشف الاقنعة إذاً، مجاز آخر لتقشير اللغة من عطبها، في موازاة عطب الجسد واشتعاله، أو تدوينه، بلا مراوغة، فههنا سنقع على جسارة ايروتيكية واضحة، وفحص عميق لتجليات حاسة اللمس، وإماطة اللثام عن محرّمات بالكاد تلامسها الرواية العربية. من ضفة أخرى، يسعى الروائي والأكاديمي اللبناني المعروف إلى هتك فحولة اللغة، وتحريها من ذكورتها المتوارثة، إذ يتيح لشخصية «يسرا» مناطق واسعة للسرد عبر نشر دفاثرها، كأنه يعيد حياتها مزة أخرى، فانتحارها هو غياب جسدي، فيما تحضر دفاثرها كتعويض عن هذا الغياب، رغم هذياناتها وأحلامها وكوابيسها التي تنطوي على عيش مضطرب، وحالات من التشظي تبدو كأنها حصيلة اغتصاب تاريخي مرتحل، من فضاء سردي إلى آخر. وبمعنى آخر، فإن الراوي نفسه، وجد روايته أخيراً، بإعادة تحرير دفاثر يسرا بوصفها فصلاً من روايته الموعودة، وخروجه من الظل إلى النور بموافقة مديرة دار النشر التي شفقت هي الأخرى من أمراضها الجسدية، إثر حالة اغتصاب جماعي على نشر الرواية.

لن يبقى مكان «هادي» مجهولاً، لكن هويته ستبقى ملتبسة، فهل هو «هادي نبيل خالد»، أم «هادي أمادو سال»، أم اسمه المخترع في المينم، أم انه ابن يسرا بحسب؟ تعدد هذه الاحتمالات، يواكب تعددية أنماط السرد والشغف في تدوين الحكاية كي لا تموت.

من شرنقته الضيقة أتاح له أن يدون نصه الشخصي، وإخراجه من عتمة الأرشيف إلى الضوء واشتعالات الجسد. إذ تنشغل الرواية، في طيف واسع منها، بمتاهاثات الجسد ورغباته وانتهاكاته، سواء كخلفية لمفردات الحرب، أم لجهة الرغبة في العيش، وتالياً الرغبة في التدوين، وصولاً إلى ارتباكاته الجسدية التي عاقت تطلعاته طويلاً، بعد أن يلتقي مع سوزان، ويلحق بها إلى باريس، ليكتشف ذاته، متخلصاً من ثقل ماض اليم. ليس اختيار باريس فكرة عابرة أو مرتجلة، لفحص صورته في مرآة الذات، أو مرآة الآخر، فهنا يبرز النور على الملأ، روحانية النفس وعنفوان الجسد بصحبة سوزان التي تعمل مساعدة في إحدى صالات عرض الفن الأفريقي، كما تعمل على إنجاز أطروحة دكتوراه عن «فن

في صباه الأول، بوصفها الانتهاك الأول. تواريخ ملعونة، وجغرافيات متباعدة تشكل مروحة واسعة لحكايات مثيرة ومتواترة في أبواب اللذة والاشتهاء والمواجع. يسرا التي تتزوج رجل أعمال لبنانياً يعيش في السنغال، من دون معرفة سابقة، تكتشف جسدها في علاقة ملتبسة مع طبيب أفريقي مشعوذ، لجأت إليه بقصد الحمل. وحين تنجب طفلاً أسود، تنشأ فضيحة تطيح طمانينة زوجها الذي كان ينتظر بشغف الحدث السعيد، بعد انتظار طويل، لكنه يللم أذبال فضيخته بإيداع الطفل في ميمم مجهول، ويعود إلى بيروت، فيما تكشف التحقيقات بأن الطبيب المشعوذ يدير شبكة دعارة عالمية بغطاء الطب الشعبي. كأن الراوي وقع على حكاية حقيقية أخيراً، لتدوينها باسمه، بعدما انتُهكت لغته طويلاً. كما أن الترحال والمغامرة في الخروج

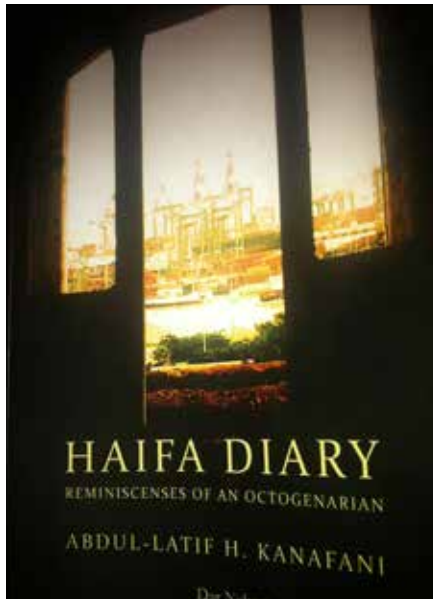
## مذكرات

# عبد اللطيف كنفاني: حيفا ذاكرة لا تشيخ

عبدالرحمن جاسم

لا شيء يشغف للذاكرة التي تشيخ، فالحضارات تموت حين ينسى أبنائها «أرضهم». هذا باختصار «ثيمة» كتاب «يوميات حيفا» (صادر باللغة الإنكليزية) للكاتب الفلسطيني عبد اللطيف كنفاني (دار نلسون- بيروت). يتأني الكتاب الصغير نسبياً (160 صفحة من القطع الصغير) على شجن ومشاعر بارتباطات يومية ترفض أن تترك النسيان يتاكلها. إنه تاريخ توصفي لمدينة كاملة، يريد الكاتب أن يخلدها في أذهان من لم يعرفوها كما شاهدتها: المدينة «الحرّة» كما كان يعرفها هو يوماً.

يحكي الكتاب حرفياً عن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وقبيل دخول العصابات الصهيونية إلى فلسطين، فهذا ماسح الأحذية أبو عزّاج الوثائق من نفسه، الذي لم يصغره عمله هذا أو يدمغ روحه الفخورة بالألم. كان الجميع يحبونه حيث يتواجد بالقرب من البوابة الشرقية للمدينة. ما لا يعرفه كثيرون عن الرجل أنه بطل من أبطال «المظاهرات» ضد الإنكليز إبان إطلاق وعد بلفور المشؤوم. يومها أطلق الجنود البريطانيون النار على المتظاهرين، كان أبو عزّاج (اللقب كما يبدو أعطي إليه نسبة للعرج في مشيخته) أحد أولئك الأبطال. أصيب، لكن تلك الإصابة لم تمنعه من المشاركة كل عام في مظاهرات الذكرى (أي وعد بلفور). كان أبو عزّاج يرى عمله «تحدياً» وفناً جميلاً، قائلاً بأن الرئيس الأميركي إبراهيم لينكولن كان ماسح أحذية.



## تاريخ توصيفي للمدينة بعد الحرب العالمية الثانية

عثمان «بيه» الرجل الثري والمعروف الذي مات وهو لا يزال شاباً (توفي في الأربعين)، لكنه كان مشهوراً، فضلاً عن أنه ترك أثراً كبيراً ليس لأنه امتلك أول سيارة في حيفا وهي من نوع Willys Overland، بل لعلاقاته السياسية القوية، وكرمه الشديد. إنه مشهد والد الكاتب «أبو خليل» يفتح باب القفص للسماح للحمام بالخروج والطيران في سماء حيفا، فهو «الروح الطيبة» التي لم تكن لتنسى أبداً إطعام تلك الحيوانات الرقيقة التي لم تكن تتوانى عن أخذ الطعام من راحته مباشرة. إنها حيفا الجميلة حيث العلاقة مع الجيران اليهود، علاقة محبة وصدّاقة، فالجار الحاخام أبو هارون، يطلب من الكاتب (وهو لا يزال طفلاً) إطفاء الضوء عليه وعلى زوجته في يوم السبت (حيث يحرم على اليهود لمس أي شيء تركيبي)، وهو كصديق لابن الحاخام هارون وشوشانا يتخذ ذلك بفرح.

هي مسيرة الذكريات في كتاب «تفصيلي» لذاكرة ترفض الصدأ، ليست اللهجة مهمة، أو الأسلوب ههنا، إنما «السرد» والمعرفة، كي لا تغيب تلك الذكريات، وتصبح الأرض «نسياً منسياً»، مجرد «صراع» غير مفهوم المعالم. تكمن ميزة هذه الكتب في أنها تتعدى حدود التوصيف والحكاية إلى الإثبات للحق والتمسك بالأرض.

في كل شيء، كرة القدم مثلاً؟ كان في حيفا ناديان شهيران: الرياضي الإسلامي، والشباب العرب. كان للفريقين مشجعون متعصبون، ونجوم أيضاً كجبرا زرقا، وميشيل الطويل ومحمد جارودي. برز هؤلاء بشكل كبير، ما دفع بدول أخرى لمنحهم جنسيتها (بعد احتلال فلسطين) لدمجهم في منتخباتها الوطنية كالاتحاد السوفياتي ولبنان وسوريا. لكن الكرة لم تكن رياضة المدينة الوحيدة، فالملكمة كذلك. لطالما عشق الحيفاويون رياضات القتال التي استضافوا العديد من بطولاتها كذلك. ماذا إذا عن أول سيارة في حيفا؟ إنه